والغة
امرأة نــوح
(المرأة الإمعة)

والغة (امرأة نوح)

(المرأة الإمعة)

يروي القرآن الكريم قصة نوح - عليه السلام - مع قومه، ويعرض لنا مسيرته الطويلة والشاقة معهم التي استمرت ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:14] كان خلالها يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، صابرًا علىٰ ما كان يلقاه منهم من الأذىٰ والإعراض والنفور، وكانت النتيجة أن آمن به البعض من ضعفاء الناس وعاداه أكابرهم؛ أما أقرب الناس إليه زوجته التي من المفترض أن تكون ممّن يشدون أزره، ومن الداعمين له علىٰ المُضي قُدُمًا في إبلاغ ما أمره به ربه، فلقد اختارت السير في ركاب قومها.

ذكرها في القرآن:

وقد ذكرها القرآن مع امرأة لوط ووصفهما بالخيانة.

قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:10].

و«**الخيانة**» في قوله تعالىٰ ليس المقصود بها الخيانة الزوجية الجسدية، وإنما هي الخيانة الأدبية وبتر علاقات التواد والتراحم بين الزوجين بالنفاق والكفر في الدين وفي العقيدة، ذكر المفسرون - ومنهم القرطبي وابن كثير رحمهما الله تعالىٰ - أن امرأة نوح تدعىٰ «واغلة» وقيل: «**والغة**»، وقد أوصلها إعراضها عن الحق حدًا جعلها تشيع عن زوجها نوح - عليه السلام - أنه مجنون، ذكر القرطبي في تفسيره أنها قالت له ذات مرة: يا نوح أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم، فقالت باستهزاء: فمتىٰ؟ قال: إذا فار التنور... فخرجت تقول لقومها: يا قوم: والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور[1].

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 9/ 42.

ولم تكتفِ بذلك بل وصل بها الأمر أنه إذا آمن أحد بدعوته سارعت إلىٰ قومها وأخبرتهم ليفتنوه عن دينه.

نهاية امرأة نوح:

أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه نوحًا بصنع السفينة، وكان جبريل - عليه السلام - يعلم نوحًا - عليه السلام - كيفية صنع السفينة، وكان قوم نوح وامرأته كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخروا وضحكوا منه، وكانوا يقولون له: أتركت عبادة إلهك، وأصبحت نجارًا تصنع الأخشاب؟

وعندما اكتمل صنع السفينة أمر الله عز وجل نوحًا - عليه السلام - بأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من الطيور والحيوانات، وأوحىٰ الله تعالىٰ إليه أن امرأته من الغابرين يقول تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود:40].

وهلكت امرأة نوح وابنها غرقا مع قومهما.

ملامح الشخصية:

والمتأمل في قصة هذه المرأة يجد أنها:

1. كانت مثالًا للمرأة الإمّعة، فقد فضّلت اتّباع ما كان عليه قومها من عبادة الأصنام وتعظيمها علىٰ أن تستجيب لدعوة نوح - عليه السلام - الذي لم يؤمن به إلا فقراء الناس وضعفاؤهم.
2. كما كانت نموذجًا للأم السيئة؛ لأنها بكفرها أثرت سلبًا علىٰ موقف ابنها **(ريام)** أو **(كنعان)** كما يسميه أهل الكتاب، الذي كان خاضعًا لتربيتها المنحرفة، ومتأثرًا بأجواء بيئته الكافرة التي كثرت فيها المعاصي، فكان نصيبه الموت غرقًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة.
3. بالإضافة إلىٰ ذلك كانت «واغلة» مثالًا للمرأة التي تهاونت بحقوق زوجها عليها عندما آثرت تقديم فروض الطاعة والاحترام والولاء لأكابر قومها ومجرميهم بدلًا من زوجها الذي استخفت به وبدعوته.

خواطر وعبر:

وفي قصة امرأة نوح - عليه السلام - مع زوجها نستخلص العديد من العبر منها:

1. أن الله سبحانه وتعالىٰ قد يبتلي المؤمن بزوجة-والعكس صحيح- تحاول أن تضغط عليه لتبعده عن جادة الإيمان؛ لذلك فإن الثبات علىٰ الحق وقوة العزيمة ومضاءها الأسلحة الناجعة لمواجهة مثل هذا الموقف.
2. أن للمرأة دورًا مؤثرًا علىٰ مسيرة زوجها الدعوية؛ لذلك فإن ضعف قناعتها بأمر دعوته محزن لقلبه، موهن له كثيرًا، فواغلة علىٰ سبيل المثال بدلًا من أن تشجّع وترغّب قومها بدعوة زوجها نوح عليه السلام وتكافح وتنافح عنه وعن دعوته إذا دعت الضرورة، أضحت بتقليدها الأعمىٰ أداة للتنفير والتشويه.
3. أن التفاضل بين الناس لا يقوم علىٰ أساس النسب والمستوىٰ الاجتماعي؛ بل يقوم علىٰ أساس الدين والعقيدة، وقصة نوح مع زوجه وابنه وقومه خير شاهد علىٰ ذلك.
4. من المهم أن يختار الرجل الزوجة ذات الدين كما بيّن الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي يقول فيه: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»؛ فالزوجة الصالحة هي صمّام الأمان الذي يحول دون جنوح الأبناء وسقوطهم في مهاوي المعاصي.
5. إن دور المرأة لا يقتصر علىٰ العناية بالمنزل والزوج والأولاد، بل لها دور دعوي هام خارج بيتها، فهي عامل تأثير إمّا إيجابي أو سلبي علىٰ المحيطين بها.
6. إن الصراع بين الحق والباطل قائم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، واللافت أن الأساليب التي استخدمت لإسكات أصوات الأنبياء سابقًا ما زالت هي نفسها التي تمارس بحقّ المسلمين اليوم من إطلاق التهم والدعاوىٰ الباطلة منها الجنون ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر:9] والتي استبدلت حيث استبدلوا بها (**الإرهاب**) أو اتباع أساليب التخويف والأذىٰ الجسدي والنفسي ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:116]، والتي غالبًا ما تصدر من أقرب الناس إليهم، والذين هم من أبناء جلدتهم ولغتهم.
7- إن مما دفع زوجة نوح وعوام قومها للابتعاد عن الحق هو تأثرهم بالطواغيت وأكابر القوم وحكامهم ومجرميهم الذين يسمون في كتاب الله بـ«**الملأ**»، فهؤلاء لم يتورعوا عن استخدام الأساليب المغرية الماكرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح:22] للتأثير في القاعدة العريضة من الناس معتمدين علىٰ قوىٰ ثلاث: السلطة والمال والقوة الإعلامية والدعائية.